مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد:11 العدد: 04 السنة 2019 رقم العدد التسلسلي 21

تاريخ الإرسال: 2019/07/06 تاريخ القبول:2019/07/23

فعل القراءة في التجربة النقدية الجزائرية

The Act of Reading in the Algerian Critical Experiment

محمد القاسم فلاني
Kacem1233@gmail.com
جامعة أحمد دراية أدرار
مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا
أ.د/ إبراهيم عبد النور
brahimtiout@gmail.com
جامعة طاهري محمد بشار

ملخص البحث

يعتبر الحديث عن النقد الأدبي ، حديث عن الفكر والذوق والقيم والرفيعة، يعتمد فيه الناقد على آليات وأدوات إجرائية، تستخدم في دراسة النصوص الأدبية لتمحيصها والتدقيق في مضامينها، واستخراج العناصر الجمالية فيها التي عبر عنها الأديب، واستطاع بفضلها تبؤ مكانة مرموقة في الساحة النقدية، فالجرأة التي يكتسبها الناقد من خلال القراءة والتحليل، والتحري والبحث، متسلحا بعديد المناهج النقدية، جعلته يهيئ لعمله أرضا خصبة، مستقلة تعتمد الفكر والرؤية والتحليل، فتشابك المناهج وتنوعها، يتطلب منا الوقوف على واقع النقد الأدبي من حيث المصطلحات ومدونة المفاهيم . فالنقد دراسة معمقة للنص الأدبي، يستعمل فيها الناقد الأدوات الإجرائية، مستعينا بذوقه وفكره للوصول إلى أحكام يصدرها تخص النص الأدبي، فإما أنه يبرز ويكشف لنا عن جماليات النص أو يحدد العيوب الموجودة فيه، سالكا في ذلك غاية النقد ووظيفته.

المنارة للاستشارات

الكلمات المفتاحية: النقد، القراءة، فعل القراءة، سلطة القارئ، المتلقي.

Abstract :

Whenever we speak about the literary criticism ,we have to speak about thought ,decency and high values through mechanisms and procedures .This enables us to deal precisely with the literary texts and mainly their contexts .It is also the way to extract the artistic elements that led the author to a high rank in the critical field.
The bravery that the reviewer gets in addition to analysis ,research and the divergent critical approaches pave the way to an objective work based on thought ,vision and analysis .The mixture of these approaches enriches our terminology concerning literary criticism.
Criticism is a deep study of a literary text in which the author uses the procedure tools besides his decency and his thought to make a decision concerning this text either showing the artistic side or detecting its faults depending on the aim of criticism and its role .

Keywords : Criticism. The act of Reading. Reqding. The Authority of The Reader . The Recipient

تعتبر وظيفة الناقد عملا أساسيا في الدراسات النقدية الأدبية، فهو يسعى لامتلاك القدرة المحكمة والنظرة الثاقبة والتي من خلالها يستطيع إصدار حكم على النص الأدبي "فالنقد الأدبي هو أدبي بالضرورة بأتم معنى الكلمة، هو أدبي لأن موضوعه دراسة الأدب ولأن كتاباته نفسها تدخل ضمن الأدب"[1]،والناقد من خلال القراءة والتحليل والتحري والبحث يكتسب جرأة بفضلها يهيئ لعمله أرضا خصبة، مستقلة يعتمد فيها على الفكر والرؤية،وتشابك المناهج النقدية، مما يتطلب منه الوقوف على واقع النقد الأدبي من حيث المصطلحات ومدونة المفاهيم. إن التجربة النقدية العربية جديرة بالوقوف عندها ودراستها دراسة دقيقة ومتمعنة، لأنها تختلف من قطر إلى قطر، فالنقد في المشرق يختلف عند نظرائهم في المغرب، وهذا

المنارة للاستشارات

ما أقرّ به عبد الله الركيبي حيث قال"إذا كان الشرق العربي قد تعرف إلى دارس النقد الحديثة وظهرت فيه اتجاهات مختلفة للقصة من الرمزية والكلاسيكية إلى الواقعية الحديثة .....فالمغرب العربي لم تقم فيه مثل هذه المدارس، و لم تظهر به هذه الاتجاهات، ولا قام منهم من يدعو إلى مثل هذه المذاهب الجديدة"[2].
غير أن الدارس لهذه التجارب النقدية، لابد أن يبحث عن جواب شاف لتأخر الحركة النقدية الأدبية في المغرب العربي عن نظيرتها في المشرق العربي، وربما ظهر للعيان أن الغزو الاستعماري الذي تعرضت له تلك البلدان يكون سببا رئيسيا في عدم اهتمامها بالدراسات النقدية، "فالمغرب العربي عاش ظروفا أكثرا اضطرابا وقلقا من المشرق العربي نسبيا، فالمعارك الحربية والاضطرابات السياسية الدائمة، لم تترك له الوقت ليناقش أو يفكر في مثل هذه القضايا الأدبية"[3] غير أن الواقع السلبي ليس مبررا لأن يبقى النقد دون إثراء وتجديد"فالإحساس بالتطور والتغير هو العامل الخفي في شحذ همم الأدباء للنقد"[4]، والقارئ عندما يتذوق النص، ويدقق في معانيه الواضحة و المتوارية بين ثنايا فقراته، يدفعه عمله إلى وضع قواعد نقدية يبرر من خلالها الأدوات الإجرائية التي يعتمد عليها في إنعاش الرؤية النقدية القادرة على التمحيص والتدقيق،ويعد الكاتب والروائي حبيب مونسي من النقاد الجزائريين الذين أسسوا تجربة نقدية تستند إلى مرجعيات وإجراءات، وجد فيها الترياق الشافي لمقاربة النصوص واستكشافها.

عرفت الحركة الأدبية في العالم عامة، والعربي خصوصا، انتقالا من الدراسة الأدبية إلى الدراسة النقدية، فجل الدارسين للقضايا الأدبية النقدية "لم يعد موضوعهم الأدب، وإنما النقد، والفارق بينهما أن الأدب تعبير على نحو ما عن الحدس بالأشياء، والنقد على النقيض لأنه الدراسة الثقافية الدقيقة لذلك التعبير، فالأدب تعبير والنقد دراسة "[5]، تلك الدراسة التي يقوم بها النقاد من خلال مسألتهم للنصوص، رغبة منهم في الوصول إلى سر جمالها، والوصول إلى فرائدها النفيسة المتوارية بين عباراتها وجملها، "فالمرء يدرك، ويدرس، ويختار، ويتخذ موقفا إزاء الأشياء، ويعرب عن رأي، وفيه يؤكد أو ينكر"[6]، ومنه اتخذ النقاد منحنيات عديدة ومختلفة، تتضح لنا من خلال

المنارة للاستشارات

تتبع القراءات العربية، والتي تعتبر دراسات معمقة للنص الأدبي، يستعمل فيها الناقد قراءته المتفحصة والدقيقة والحاذقة، يستعين فيها بذوقه وفكره للوصول إلى أحكام يصدرها تخص النص الأدبي، فإما أن يبرز ويكشف لنا عن جماليات النص أو يحدد العيوب الموجودة فيه، سالكا في ذلك غاية النقد ووظيفته التي تتلخص في مايلي[7]:

أولا: تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضوعية على قدر الإمكان، لأن الذاتية في تقدير العمل الأدبي هي أساس الموضوعية.

ثانيا: تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، فمن كمال تقويم العمل من الناحية الفنية، أن نعرف مكانه في خط سير الأدب الطويل، وأن نحدد مدى ما أضافه إلى التراث في لغته وفي العالم الأدبي كله.

ثالثا: تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط، ومدى تأثيره فيه، وهذه ناحية من نواحي التقويم الكامل للعمل الأدبي من الناحية الفنية، فضلا على الناحية التاريخية.

رابعا: تصوير سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله، وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوين هذه الأعمال.

فبفضل هذه الوظائف يمكن للناقد أن يؤسس منهجا نقديا، يتكفل بدراسة النصوص الأدبية، وتقويمها تقويما كاملا، يصدر لنا أحكاما منطقية، تحقق الغاية المنشودة.

يبدو أن ملامسة التجربة النقدية العربية عموما والجزائرية خصوصا، تجعلنا في بحث دائم عن المرجعيات والأدوات الإجرائية التي وظفها النقاد لفهمهم ومقاربتهم للنصوص الأدبية الفنية ، فالدارسون قسموا النقد إلى قسمين : نقد سياقي ويريدون به ذلك النقد الذي يسترفد نظريات المعرفة الإنسانية لمحاورة النصوص، مستفيدا من مطارحاتها الفكرية المختلفة ، ومن ثم فهو ينطلق من النص إلى خارجه ثم يعود إليه بما استحصد من معرفة، إنها العملية التي تعطي للسياق أولوية على النص ، وتجعل هذا الأخير تابعا له يدور في فلكه " [8]وسمي أيضا " بالنقد الذي يعيد بناء النصوص الضائعة من خلال دراسة السياق "[9]، فالناقد يعمل على إظهار القيمة الفنية الجمالية للنص من خلال فعل القراءة الذي يمارسه، مستعينا في ذلك بلون

المنارة للاستشارات

الثقافة التي شرب منها ، ونهل من قيمها فمنهم من تأثر بالثقافة العربية وآخرون بالثقافة الأجنبية، غير أن الحوار المعرفي الذي يدور بينهم يؤسس لبناء مدرسة نقدية عربية متخمة بالمعارف والنظريات التي تساهم في بناء نقد يعتمد على مناهج نقدية عملية سديدة . " فالناقد قد يعمل على تطبيق مقياسه في النقد وفق ثقافته التي تلقاها وتأثر بها ، ويحكم على الأدب من منظور دراسته ومطابقته للأصول التي حصلها "[10]والنقد "عمل أدبي يبدأ بالضرورة بقراءة هذا العمل أي بتعريض صفحة روحنا له، وتلقي التأثيرات والانطباعات التي يخلفها عليها هذا العمل الأدبي، وبالبداهة يجب أن تكون صفحة روح القارئ سليمة مستوية غير ملتوية "[11].

أما القسم الثاني فسمي بالنقد النسقي وهو : النشاط الذي يغلق الباب في وجه السياق إلا بالقدر الضيق في أحايين قليلة " [12] .وأطلق عليه بالنقد الجديد الذي ضم جميع المناهج النسقية الجديدة " بنيوية، سيميائية ، موضوعاتية ،...الخ ،" فالنقد الجديد ناهض الاهتمامات الاجتماعية للنقد اليساري مصرا على متطلبات الشكلية للشعر كشعر وليس كعقيدة إيديولوجية أو وثيقة تاريخية، ومراجعا للمفاهيم النقدية السائدة " [13] فدراسة النص الأدبي تستوجب إبعاده عن محيطه السياقي، أي استقلالية النص الأدبي بعيدا عن إيديولوجية النص وعلاقته بالتاريخ والسياسة، " فهنالك مدارس أسهمت إلى درجة كبير في تشكيل الفكر البنيوي من أهمها مدرسة الشكليين الروس، التي تبلورت في روسيا في العشرينيات من هذا القرن وقد كانت هذه المدرسة تقاوم النزوع الأيديولوجي الذي صاحب وأعقب الثورة الاشتراكية، لذلك ركزت هذه المدرسة مفاهيمها على دراسة الشكل الأدبي ودلالاته، وكانت تحليلاتها لمفهوم الشكل قريبة جدا من مفهوم النية " [14] .

فالقراءة النسقية للنصوص الأدبية تتطلب من الناقد وضع مرتكزات وآليات إجرائية، يستطيع من خلالها قراءة النص الأدبي واثبات أنه عمل قائم بذاته، مستقل عن محيطه الخارجي، ودراسته انطلاقا من العلاقات الداخلية التي تحكمه. وأشار يوسف وغليسي إلى بعض الأسس والخصائص المنهجية العامة التي ينهض النقد الجديد عليها وهي: [15]

المنارة للاستشارات

– دراسة النص الأدبي بعد اقتلاعه من محيطه السياقي، فمن النص الانطلاق وإليه الوصول، دون اعتبار بقصدية الناص و وجدانية المتلقي، فدارسة النص يجب أن تتحرر من ملكية المؤلف إلى سلطة القارئ الذي يبدع في قراءة النص بعيدا عن ما يريده الناص أو المؤلف، وبعيدا أيضا عن الآثار والنتائج النفسية التي يلحقها النص بالمتلقي .

2 – اتخاذ القراءة الفاحصة وسيلة تحليلية مركزية في الدراسة النصية، تتقصى معجم النص وتراكيبه اللغوية والبلاغية ورموزه وإشاراته، وكل العناصر الجوهرية التي تضئ دلالاته وتفك مغاليقه، ويعتبر هذا المنهج في دراسة النصوص منهجا يساعد على تقويم الإنتاج الأدبي والسمو به إلى مرتبة الروعة والجمال، " فقراءة النصوص الجيدة، وحفظ خيارها هما الوسيلة الفعالة لإتقان صناعة الأدب ، بل الوسيلة التي لا يمكن أن تستغني عنها أية دراسة لغوية أو نقدية "[16] .

3– الاهتمام بالطبيعة العضوية للنص الأدبي، ودراسته بوصفه وحدة عضوية متجانسة العناصر التي هي مكوناته الداخلية الأساسية، حيث يؤول إلى ذلك إلى اعتبار النص الأدبي كائنا لغويا، يمثل بنية كلية متجانسة مستقلة عن الظروف والمؤثرات المحيطة، " فالوحدة العضوية، هي وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيبا ينتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، يؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر "[17].

4– الاهتمام بالتحليل العلمي للنص، ونبذ التقويم المعياري أي الحذر من الإسراف في إطلاق الأحكام لاسيما تلك التي تعوزها الأدلة التعليلية والحيثيات النصية، فقد صار الحكم النقدي لدى النقاد الجدد جزء من العملية التحليلية ذاتها،" فالنقد يفتح الآفاق الرحبة أيضا أمام الأدب بضريبة الشعر والنثر، فيمضي الأدباء بكل صدق وموضوعية يتلمسون أسباب الجودة أو الرداءة ، في كل ما يرشح به خاطر مجتمعهم ، فالنقاد ميزان القول بما لديهم من بصائر نفاذة وأحاسيس مدربة ورياضية أدبية بعيدة المنال " [18].

المنارة للاستشارات

ويرى مصطفى ناصف " إن التقييم يحمل منطق عواطفنا وفلسفتنا واعتقاداتنا متغلغلة في أي موقف نتخذه " [19]، مما يجعل الأحكام التي نصدرها تحتاج إلى حجج وبراهين، يتخللها تسرع وإسراف في إطلاق الحكم النقدي على النص الأدبي ولكن: " التحليل في وسعه أن يؤدي إلى تهذيبها والحد من طغيانها، التحليل موقف ينطوي على رؤية الكثير واستيعاب العناصر الغربية برحابة أشمل وأعمق "[20] .

5- نقد الالتزام ورفض استخدام الأدب وسيلة لغاية رسالية معينة (اجتماعية، سياسية، أخلاقية ...) فبعض الباحثين يذهبون إلى أن" مقوله الأسباب لا تنظم عالم الحياة الإنسانية و لا توضح معنى النص الأدبي، إنما هناك حفز وتأثيرغير مباشر، أو دافع يستحث الإنسان إلى النشاط والتفكير "[21]،فالإبداع والقدرة على التأليف إنما هي قدرة كامنة في الإنسان غير مرتبطة لا بظروفه الاجتماعية أو الحضارية..الخ، " فالعمل الفني يحرر نفسه من مؤلفه إلى حد أننا قد نرى أن دورهذا العمل في حياة الفنان يطمس المعنى الباطن والمنطق الداخلي للعمل الفني "[22].

واهتمت الدراسات النقدية القديمة (المناهج السياقية) بالبحث تمحيصا، وتدقيقا حول عناصر العملية الإبداعية، حيث اعتبرت هذه المناهج أن أساس العملية النقدية هو المبدع والنص بعيدا عن القارئ، ولأن للقارئ دور فعال يتجلى ذلك في الدراسات النقدية ، كان لزاما على النقاد البحث عن منهاج نقدية تولي اهتماما بالقراءة والقارئ ، وتجعله أساس العملية الإبداعية بدلا من المبدع والنص.

ويعتبر الناقد يوسف وغليسي أن القراءة النقدية العربية مرتبطة بالنقد الجديد أنجلو أمريكي الذي ظهر نتاج حركة نقدية "سادت خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكانت سنة 1941 سنة حاسمة في مسارها ونقطة انعطاف في تاريخ النقد العالمي برمته"[23]، فالقراءة النقدية العربية الحديثة ارتشفت من منابع النقد الغربي، وساعدها في ذلك تواصل العرب بالآداب الغربية، واحتكاكهم بمنتجات الأدباء الغربيون "فالنقد العربي يعتبر من أبرز مظاهر الأدب العربي المعاصر، فقد تأثرت هذه الظاهرة في العصر الحديث بمباحث النقد الغربي، وذلك لاتصال العرب بالآداب الغربية، وتعود أسباب تأثر النقد العربي بالغرب إلى مؤثرات كالنقد المقارن، والمدارس النقدية"[24]

المنارة للاستشارات

،غير أن هذا الارتباط قد يحمل هذا النوع من الدراسات، إلى الإغفال عن القيم والتقاليد المرتبطة بالثقافة العربية، بما أن النقد الجديد وقراءته للنصوص يرتبط بالثقافة الغربية من خلال النصوص الأدبية الأجنبية التي أخضعت لمناهج البحث الحديثة.

مفهوم القراءة : شهدت الكتابة في العصر الحديث انتشارا واسعا، وملاذا أمنا يلجأ إليه الكتاب للبوح بما يكتنز بداخلهم من معارف وأسرار، يضعونها بين أيدي الدارسين لدراستها والاستفادة منها،ومن التجارب العربية التي تستحق الدراسة والوقوف عندها الكاتب والناقد حبيب موسي، والذي حاول إيجاد دواعي الكتابة وهواجسها من خلال كتابات عبد المالك مرتاض، والتي حددها في ثلاث هواجس هي :[25]

1- هاجس الريادة يثبت فيه القارئ سبقه وأسبابه.

2- هاجس للمنهج نثبت فيه القلق الذي بدأ اعتقادا صارما في جدوائية المنهج إلى التخلي عنه إلى فائدة التركيب والمعالجة.

3-هاجس للانتشار يكون فيه المنهج مجرد رؤية باطنية يتجاوزه القارئ إلى فضاءات النص ومجالاته، وكأن الكتابة فيه احتفال معرفي يسديه القارئ للنص فيعينه . فالقراءة هي الفعل الذي نقف من خلاله على النص وأجزائه، سالكين أغواره لمعرفة مواطن الجمال والرداءة فيه، " ولعل الرغبة في صحة قراءة الأدب تحديدا تفرض علينا أن نحدد مجال هذه القراءة أو قضاياها، فليس الأدب نظاما رمزيا أوليا،بل هو نظام ثانوي يستخدم نظاما موجودا قبله هو اللغة "[26]، فعلاقة الأدب باللغة على أنه فن لغوي لا يمنع وجود اختلاف بين قضايا الأدب وقضايا اللغة،فقراءة الأدب أو التحليل الأدبي تستوجب ثلاثة أمور هي " [27]:

1-المظهر اللفظي في النص .

2-المظهر التركيبي .

3- المظهر الدلالي .

المنارة للاستشارات

قراءة النص يجب عليها أن تبتعد على القراءة التقليدية، التي تعتمد على نقد نابع من مفاهيم محددة عن الإنسان ومستخلصة من حياته المعيشية، تلك القراءة التي تجعل من القارئ قارئا غير منتج وغير فعال، ويستقبل المقروء ويستوعبه دون أن يكون أداة فاعلة تبحث وتدقق ثم تحلل وتنتج ،" إن مفهوم القراءة المعاصر مقترن بالاكتشاف وإعادة إنتاج المعرفة، وهو لذلك مفهوم خصب يمتد من التفسير إلى التأويل ونؤكد أن الذات القارئة فيه لا تقل أهمية عن الموضوع المقروء" [28].

فهي تلك القراءة التي تجعل القارئ الأداة الفعالة في إصدار الحكم على النص الأدبي بعد الاستعانة بالأدوات الإجرائية في توظيف قراءة أدبية تذوقية للمنتج من خلالها يستكشف جماليات النص، ومتعته، فالنص يعتبر هو السيد والقارئ هو من لديه الكم الهائل من الآراء والنظريات، والآليات الإجرائية التي تجعل من فعل القراءة فعلا منتجا وناجعا في إدراك الجمال والفائدة الموجودة في الأعمال الأدبية.

القراءة العربية القديمة :

عرفت القراءة العربية نشاطا وحيوية، غايتها الانتقال بالدراسات العربية من التقليد الذي عرفت به الأعمال الأدبية من شعر ونثر إلى التجديد الذي حملته الدراسات الغربية، فكثير من النقاد والدارسون، فرشوا السجاد الوثير واستحسنوا الانفتاح على المنهاج والدراسات الغربية الحديثة، غير أن النقاد حبيب مونسي يرى أن الأخذ بمحتوى هذه الدراسات فيه شيء من التسرع والانبهار غير محسوب العواقب والنتائج، " فالتسارع إلى الاغتراف من ينابيع الغرب لم يكن ليتم بطريقة منهجيته رصينة، ولا كان ليتم بهدوء مدروس وإنما كان اغتراف العطشان الذي يعكر المورد دون أن يفوز بالري، ومنه كان الابتسار في النقل، وكان سوء الفهم في الأخذ والترك، وكان التمايل في التطبيق والإجراء "[29].

فالنقاد الذين مارسوا النقد بالآليات الإجرائية الغربية، إنما هي رغبة منهم في الخروج عن المألوف، ورفض كل ما يحمل بين ثناياه اجترار للمعارف والمفاهيم القديمة ولذلك " كثرت تدخلاتهم في الإبداع نقدا وتوجيها استحسانا واستهجانا "[30]. غير أن النقاد العرب ورغم اتصالهم المتين بالدراسات الأدبية الغربية ونقادها، ظلوا

المنارة للاستشارات

متمسكين بتقاليدهم وثقافتهم العربية، لأن إطلاعهم على مضمون المناهج النقدية وجدوا فيها مايربطها بمن ينظر إليها "فجيل الرواد من النقاد العرب حاولوا تجديد المناهج النقدية الأدبية، عن طريق اتصالهم الوثيق بالثقافة الغربية، واطلاعهم العميق على المناهج البحث في الدراسات الأدبية الأوربية الحديثة، ولم يغفل هؤلاء الرواد في لحظة اتصالهم بالثقافة الأوربية عن النظر في القيم الثقافية القومية، بل نراهم يبذلون أقصى جهودهم في تطوير هذا التراث القومي والعمل على توثيقه لربطه بالمجرى العام للثقافة الإنسانية"[31].

أن حمل راية النقد الجديد، وقراءة النصوص قراءة فاحصة دقيقة، تتطلب من رواد هذا الفن، التغلغل والاطلاع على جميع المدارس الغربية التي كان لها قصب السبق في وضع أسس ومبادئ القراءة الفعلية للنص، وترسيخها في أوساط الدارسين والمهتمين بإثراء الممارسات النقدية الجديدة، وهذا ماسعى إليه محمد غنيمي هلال من خلال دراسة بعض مذاهب النقد الحديث، ومحاولة ربطها بعوامل التجديد في الأدب المعاصر "ومازالت غايتي الأولى من هذا الكتاب " النقد الأدبي الحديث" هي غايتي من كتب الأخرى في النقد والدراسات المقارنة، ألا وهي دعم الوعي النقدي بإقامته على أساس نظري عملي معا"[32]، فالغاية المنشودة تبقى هي رفع الستار عن جل القراءات النقدية في مختلف الآداب، حتى يتمكن من خلالها الناقد بناء أسس نقدية علمية موضوعية، بعيدا عن الذاتية، يكشف بها سر جمالية النص ومواطن التميز فيه.

غير أن فعل القراءة هو ما يضع بين أيدينا سبل وخيارات، نقف من خلالها على الكم الهائل من النصوص الأدبية، نصدر فيها أحكاما يتخللها تعليلا يبرره ،"فالقراءة الشفوية اختلفت مفاهيمها وتباينت مبتغياتها ابتداء من التعليق العابر والملاحظة الانطباعية إلى التحليل المنهجي الصارم، وذلك من خلال ثلاثة مستويات :

المنارة للاستشارات

أ- **مستوى الانطباع :**

العجز عن مواجهة النص وفيه يتحدث الناقد عن حضور المتلقي الذي يرغم الشاعر في الخوض لسلطته فيرغمه على بناء قصائده رضا للسامع وليس قناعة بتجربته الشعرية .

ب- مستوى التردد بين داخل النص وخارجه : حيث يعد الانطباع الحلقة الأولى في مواجهة النص والذي يمر عبرتحليل النصوص، وإصدار أحكام يحكمها الذوق الفطري، والاستحسان الشخصي إلى طلب المفاضل البارع كحلقه ثانية في مراحل الفعل القرائي .

د- **مستوى التأصيل مواجهة النص** فمن خلال المستوى الثالث والذي أتاح لبعض النقاد فرصة التأمل والتروي، وإمعان القراءة والبحث عن أسباب المفاضلة ودواعيها الداخلية ، جعلت من النص مادة دسمة لدراسة اللغة والأساليب والصور والوضعيات العامة للشعراء ومراجعة سائر الأقوال والأحكام .

آليات القراءة :

يرى حبيب مونسي أن فعل القراءة ، فعل يحتاج إلى آليات وأدوات من خلالها يستطيع القارئ إيجاد حلول للقضايا النقدية التي أثارها القراء في مواجهة النصوص، بشيء من المهارة والتحليل، "فالقراءة للقارئ هي ضرب من المهارة العلمية لا تتاح لغير المتخصصين " [33]، مما يكسبها جودة ودقة تجعل المنتج متميزا ، له دلالات جديدة ، لم تكن متاحة في بنيته الأولى، واعتبر أن " القراءة وكأنها عطاء سماوي ينعم به قلة من القوم "[34]، فالقراءة ذوق يمارسه القارئ على النص فيكتسب قدرة على الدراسة والتحليل، والاستكشاف ، يحاول من خلاله تقويم عمل المبدع " فالذوق يعطي للقراءة بعدا سحريا، يجعلها قادرة على إذابة العناصر وخلق الجديد منها، شريطة أن يتم ذلك بواسطة الاتصال والتعاطف الذي يمكن الذات من التولج داخل النص كقارئ ضمني أتاح له المبدع مكانة وحضور داخل البنية المنتهية للأثر"[35]،فالقراءة تعد وسيلة فعالة للاقتراب من النصوص والولوج إلى عناصرها، وتجتهد في فهم مضمونها وشرح معانيها، وعلى أن تكون أداة أكثر فاعلية في

المنارة للاستشارات

استخلاص قيمها وهذا وفق آليات حاول حبيب موسي إبرازها وفق ورودها الزمني في كتب عبد الملك مرتاض وهي [36]

01- التحليل : القراءة عملية اتصال تتضمن فهم الأفكار، والتذوق والاستمتاع، تليها عملية تشريح النص وتحليله بواسطة أدوات إجرائية من خلالها يتم إخضاع المادة للنقد والحكم، عبر منهج معين يسلكه الناقد، وهذا ما أشار إليه حبيب مونسي في معالجة عبد المالك للقصة عبر نمطين من القراءة [37] :

أ- **النمط الأول** : ويتعلق بالنقد العربي القديم .

ب- **النمط الثاني** : ويتعلق بالنقد الحديث من خلال دراسة الجنس الأدبي، والوقوف على مشكلاته البنيوية.

ويرى فيهما أنهما إجراء واحد يتجاوران ويحققان الدراسة الكاملة للكتاب ، واستخدام الباحث للنمط الثاني غايته وضع القصة بين القارئ،حرصا منه على إبقاء الشعرية حاضرة " وهو الجزء الذي يسميه الباحث بالتحليل والذي لا يريد فيه سوى كتابة ليست تقليديا خالصا ولا نقد جديدا أيضا خالصا ،ولا إبداعا بالمفهوم الشائع خالصا، وإنما تقع بين كل ذلك سبيلا فهي قراءة أو نقترب من المفهوم الجديد لهذه القراءة " [38]،غير أن التحليل كما يراه حبيب مونسي أنما هو[39] :

1- نثر للشعر ، تضارع لغته الأصل في مبتدى الأمر .

2- التحليل إبداع يتذرع النص الأول ليكتب فوقه، وحوله نصا جديدا يقاربه نسيجيا ويضارعه شعرية .

3- التحليل يعتبر قيمة قرائية يظل على حاله أصلا ثابتا لا يتغير جوهره .

4- التحليل يتيح للقارئ سلطة بفضلها ينتقل عبر مسافات النصوص الإبداعية.

5- التحليل يعادل تشريح النص من حيث العناية بالدقائق والجزئيات .

6- التحليل قراءة تعود للنص الواحد من خلال رؤى متعددة تتخذ لنفسها زوايا مختلفة للتولج إلى عوامل النص .

7- التحليل هو الابتداع الذي يستند إلى خلفية معرفية، وذوقية ودربه شحذت الممارسات أدواتها، وأرهفت حسها ، وجعلت حدسها يقظة حساسة.

المنارة للاستشارات

ويعتبر التحليل المجال الفسيح من خلاله ينتج الباحث ويبدع باعتباره "خطوة منهجية، يعمل على إحداث كتابة إبداعية، تجتهد في المحافظة على النسق الشعري الأصلي، وفيها يقدم الباحث كتابته إبداعا جديدا حول الإبداع"[40] ، فهو يعد وسيلة من خلالها يتلذذ بمضمون النص، ويحاول تحليل الأحداث الواردة في النص من خلال تذليل الصعوبات المتواجدة به .

2- الدراسة : وتعتبر إحدى الآليات الأساسية لإبراز فعل القراءة في النص الأدبي، من خلال الممارسة الفعالة من طرف القارئ فهي آلية تأتي بعد التحليل تقوم على :[41]

1.التفكيك البنائي: الذي يعمل على عزل العناصر القصصية، والتعريف بها، والتدليل على دورها الفني في الإخراج القصصي، فيزداد القارئ، إدراكا لخصوصية الجنس الذي يقرأ.

2.النسيج اللغوي في عرض الشخصيات، لتستشف فيه تقاطع الحدث مع النفسية الخاصة للبطل "فاللغة هي أحد مفاتيح النص ،وقنوات النفاذ إلى كنهه، والكلمة تشبه الخلية المصغرة من بناء النص،تحمل كل صفاته النفسية والاجتماعية وطاقته التأثيرية "[42]، والغاية من ذلك هي إدراك جماليات النص الأدبي، فالمتلقي مدعو إلى تفعيل فاعلية الفهم والتحليل.

3.الدراسة معالجة للحدث، والزمن والمكان، كعناصر بنائية للفن الروائي، فهي تشير في الأعمال الأولى إلى المنهج البنيوي، وابتغاء العلمية الموضوعية، والابتعاد عن الأحكام الاعتباطية والانطباعية التي عرفها النقد القديم .

4.الدراسة تعمل على تشريح النص في مستويات عديدة،"فالباحث عندما يضيف للدراسة لفظ التشريح فإنما تتعهد نصا برمته تتلمس فيه عناصره في مستويات تتعدد بحسب طبيعة النص، واقتضاءاته الدلالية، كالبنية والصورة، والحيز والزمن والإيقاع والمعجم الفني "[43] .

المنارة للاستشارات

03- التشريح :

يرى حبيب مونسي أن استعمال النقد لمصطلح التشريح يحمل دلالتين :

- **الدلالة الأولى** :تتعلق بالنص والاقتصار عليه جسما، تجب معالجته على النحو الذي تعالج به الأجسام الحية دون الالتفاف إلى السياق، ويحمل معنى الدقة والتأني والفرز.

- **الدلالة الثانية** :وفيها نجد شيء من العلمية يحمله المصطلح،إلى عالم الأدب والمعالجة النصية، فيوهم القارئ بفعل يقارب التشريح البيولوجي "فالنص الأدبي يستطيع أن يمارس وظيفته، فيصبح النص المطلق، فيتجدد مع كل قراءة، ويكون النص الواحد الآف من النصوص، وفي كل إعادة للقراءة يحدث أثر آخر، فكأننا مع نص آخر، فالنص هو الأثر، والنص هو القارئ"[44] فالتشريح الذي يريده الناقد هو التشريع الذي يحافظ على وحدة النص.

04- التفكيك :كأداة قرائية استعان بها عبد المالك مرتاض تدل على :

- تفكيك الخطابات، والنظم الفكرية وإعادة النظر إليها بحسب عناصرها
- يعدد المناهج المركبة كما يعدد القراءة، فهو يهدي الباحث إلى صياغة المنهج الذي يناسب النص

05- **السيميائية** :ويرى فيها حبيب مونسي أنها جسدت ديمقراطية النقد، فالناقد يسمي عمله على النص قراءة، ليفتح المجال لأقوال وتأويلات أخرى تعيش مع أقواله وتأويلاته حالة من التعددية .

06- **قراءة القراءة** :ويدل هذا المصطلح على النشاط القرائي الذي تتناوله قراءة أخرى وتقوم على :

1- البحث في خطواتها وأدواتها وكيفيات إنتاجها المعنى، وتوسيع حدود الأثر
2- تثمين القراءة الأولى ،وإعانة القراء على تلمس مواطن الجدة فيها.
3- تمكين تعدد الأصوات ووجهات النظر وفتح حدود النص على شعرية الانفتاح وإنتاجية الغموض.

المنارة للاستشارات

4- تفحص القراءة الواحدة، أو القراءات المتعددة للنص الواحد، تهتدي إلى المجالات التي لم تلمسها القراءة أو التي انزلقت على سطحها بفعل حضور سلطة من السلطات المهيمنة.

إن القراءة المؤثرة في نظر حبيب مونسي، هي تلك القراءة التي تعتبر الذوق عاملا أساسيا فهو" التفاعل الكيميائي الذي يعطي للقراءة بعدا سحريا يجعلها قادرة على إذابة العناصر، وخلق الجديد منها، شريطة أن يتم ذلك بواسطة الاتصال والتعاطف، الذي يمكن الذات من التولج داخل النص"[45]، هذا التولج يتيح للناقد فسحة من التأمل، بفضلها بتعرف على القيم الجمالية للنص، فالدراسة والتأويل يجعلان من المتلقي مبدعا، يسعى لإنتاج نصوص موازية للنص الأصلي، وهذا لا يتحقق إلا بضوابط ونظام يحتاجها فعل القراءة ليقف على مقاصد النص الأدبي ويمر عبر نوعين من القراءة هما[46]:

الأول: قراءة صناعية :وتعني الاشتغال بها يكون في إجالة النظر، وتقليب البصر، في الحروف والكلمات، وهذه ستخرج لنا كما كبيرا يتقن جرد العدد من الكتب، والصفحات، والحروف وربما أخرجت قليلا ممن يتقن اقتناص الجواهر المقروءة.

الثاني: قراءة ذوقية :وتعني الاشتغال بها يكون في القلب، والروح للمقروء لا في الجسد والشكل، لأن الأذواق لا تشتغل بالأشكال وإنما في المعاني الخفية.

فالقراءة من منطلق اشتغالها بإنتاج النصوص من خلال القراءة المنطوقة أو المسموعة، واهتمامها أيضا بفك شفرات النص بشرح معانيه الخفية من خلال اشتغالها بالذوق، فهي فعل يهتم بالعملية النقدية، وتهتم بالمتلقي الذي يحقق عدة قراءات مختلفة للنص توازي النص الأول "فالقراءة عملية رافقت النص على امتداد الإنتاج المعرفي، في آداب جديدة للكشف عن مسارات معرفية متقدمة"[47].

ويقف حبيب مونسي عند رأي عبد المالك مرتاض حول اختلاف القراءات وتنوعها عند القراء والذي يعود إلى "اختلافهم في الذوق، واختلافهم أيضا في مستويات المخزون الثقافي، واختلافهم في درجات التحسن بالجمال العظيم"[48]، بالإضافة إلى وجود اختلاف أيضا في السن واللغة والتجربة، والثقافة، والايدولوجيا،

المنارة للاستشارات

والميول والهوايات حسب حبيب مونسي هذا الاختلاف يساهم في تعدد قراءات النص فيجعل الحديث عنها يأخذ صفتين[49]:

- **صفة الدرجة** فهي تعين الثقافة والذوق والسن ..... بتعدد القراءات وتداخلها فهي في طبيعتها توازن النص الأصلي.
- **صفة اللون** والتي التفت إليها بعد المالك مرتاض "جهة القراءة" ليجعلها ألوانا يعرضها كاشفا عن وظيفة كل واحدة منها أهم هذه القراءات[50] :

01- **القراءة التقويمية** : والغرض منها

-كيفية تقديم النص

-ضرورة كون القارئ منتجا للنص

-المعيار قيمة كامنة داخل المنظومة القرائية

-القراءة في كل الأحوال ذات سبق وامتياز، تنفتح على التدبر والتفكر، والنظر، والقلب، مادامت تقف إزاء كون حافل بالعلامات.

02- **القراءة التأويلية**:وتعتمد على:

- التأويل هو البحث عن الجمعانية التي أنشأته.
- التأويل في خضم القراءة هو مسايرة للكتابة و التناص، مع نصها بملء الفراغ، وقراءة الغائب.
- التأويل يدل على ما وراء ظلال دلالة الكلمات.

03-**القراءة التقريرية**: وتدل على أن

-التقرير أساس من أسس القراءة اللغوية للنص.

- التقرير واقع تحت تأثير اللسانيات، وهو تأثير يحد من انتشار القراءة، ويجعلها تابعة للنسيج اللغوي للنص.

-اللغة في القراءة التقريرية، نظام يتجاوز حدود الجملة.

-القراءة التقريرية لا تعرف أين تقف عند الحقيقة أم عند المجاز

المنارة للاستشارات

وتبقى القراءة فعل يمارسه القارئ يسعى من خلاله إلى إنتاج نص جديد بفضل المشاركة الفعالة في إبداع النص "إنها مواجهة بين القارئ والنص، وهذه العملية متصلة تبدأ من قدرة القارئ على اكتشاف حدود ذلك المجهول "[51].

ومن هنا يبدأ إبداع القارئ فيمتع ويستمتع فهو يرى في نفسه منتجا، فيتعامل مع النص ويعمل على قراءته قراءة واعية، عندها تكتمل العلاقة بينهما "فيسمح للنص بأن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الاعتبار، فهناك بالطبع حدود تدل على استعداد القارئ من أجل المشاركة، وبينما هو يقرأ ويبدع، فإنه يفهم أنه يستطيع دائما أن يذهب بعيدا في قراءته، وأنه يستطيع دائما أن يبدع بعمق أكثر. "[52].

إن القراءة الأولى للنص هي قراءة لها دلالتها وأحكامها جعلت من الضروري أن تكون هناك قراءة القراءة التي تسعى إلى تثمين القراءة الأولى للمنتج، والبحث عن مواطن القبح والجمال فيه، فهي أقرب للقراءة الناقدة من خلال إصدار حكم إما بقبول مضمون النص وتثمينه أو رفضه بعيدا عن العاطفة والتودد.

النتائج والتوصيات :

في الختام يتضح للباحث أن فعل القراءة هو فعل يسعى من خلاله القارئ للإنتاج، ويتحقق هذا بتكوين علاقة وطيدة بين القارئ والمقروء، يسعى من خلالها لمعايشة النص واستيعاب معانية المختلفة، دارسا بذلك دلالات النص ورموزه الأدبية، فالفعل الذي ستند في حكمه للعقل والمنطق بعيد عن القراءة السطحية والحكم المسبق، هو في حد ذاته إبداع جديد للمعنى، وإجلاء للحقيقة النص "فالنص لا يصبح حقيقة إلا إذا قرئ "، فالنص المقروء ينتج نصوصا متعددة كلما كانت هناك قراءات متعددة، فهو لا يمكن أن يكون بصورة نهائية بأي حال من الأحوال. إن فعل القراءة وممارسته يعتبر متعة يحمل صاحبه للرقي والعلو والإبداع، فهي لحظة استمتاع ومؤانسة تجعل من القارئ أداة نقدية يعطي للنص مفاهيم متعددة، يعتمد فيها على عبقريته التي أكتسبها من القراءة الفاعلة للنص، يسعى من خلالها للفهم والتحليل ثم البناء.

المنارة للاستشارات

فعل القراءة هو ذلك الفعل الذي يدفعك بكل أمانة وصدق إلى البحث عن مضمون جديد، وفكر جديد يستخلص من دراسة دقيقة لكل ما هو مقروء وهذا لا يتحقق إلى بقراءة فاعلة بعيدة عن عبارات المدح والشكر أو سهام الذم والقدح.

هوامش

1. روجيه فايول، النقد الأدبي، مجلة التراث الأدبي، العدد 107، اتحاد كتاب العرب دمشق، ص 169
2. عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر العدد 178، ص 07
3. نفس المرجع، ص 07

عباس إحسان:تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة بيروت، لبنان ط 04، 1983 ، ص 18

4. إنريك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب القاهرة،1991، ص 03
5. نفس المرجع، ص 32
6. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق القاهرة، الطبعة 08، 2003 ، ض 129
7. حبيب مونسي، هذا النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، منشورات دار الأديب وهران 2007 ، ص 05 .
8. إنريك أندرسون، منهاج النقد الأدبي . ترجمة الطاهر أحمد مكي . ص 09
9. حبيب مونسى، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي ،ص 05
10. محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة 2006، ص 128
11. حبيب مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، ص 05 .

المنارة للاستشارات

12.يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى 2007، ص 53
13.صلاح فضل، منهاج النقد المعاصر، دار ميريث للنشر القاهرة الطبعة الأولى 2002، ص 87
14.يوسف وغليسي، منهاج النقد الأدبي، ص 53 ، 54 ،55
15.محمد غندور، النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1997 ، ص 15
16.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، أكتوبر 1997 الطبعة الأولى ص 373
17.حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1996 ، ص 25
18.مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، دار القومية للطباعة والنشر، مصر،ص 221
19.- المرجع نفسه ،ص 222
20.المرجع نفسه ،ص 96
21.المرجع نفسه، ص 145
22.يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى 2007، ص 49
23.حسن مجيدي- سيد محمد أحمد نيا، النقد الأدبي العربي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية "دراسة وتحليل" إضاءات نقدية،مجلة فصلية محكمة، السنة الثانية ،العدد الثامن ديسمبر 2012 ،ص 101
24.حبيب مونسى، فعل القراءة النشأة والتحول، منشورات دار الغرب وهران 2002/2001 ، ص7 . 8

المنارة للاستشارات

25.وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسة عالم المعرفة رقم 207 مارس 1996، ص 23
26.المرجع نفسه ،ص 23
27.المرجع نفسه، ص 21
28.حبيب مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد العربي، ص 05
29.المرجع نفسه، ص 05
30.حسن مجيدي، سيد محمد أحمد نيا، النقد الأدبي العربي المعاصر وتأثره، ص 111
31.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، أكتوبر 1997 الطبعة الأولى، ص 08
32.حبيب مونسي نقد النقد المنجز العربي في النقد العربي ص31
33.المرجع نفسه ص31
34.حبيب مونسي فلسفة القراءة ، وإشكاليات المعنى، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، ص 199
35.حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول، ص44
36.المرجع نفسه، ص 44
37.المرجع نفسه، ص 46
38.المرجع نفسه بتصرف، ص 44-48
39.حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول، ص 49
40.المرجع السابق بتصرف، ص 49
41.حنان إسماعيل عمايرة ،الدلالات اللغوية للأسلوب في الشعر ،مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية غزة،مجلد 23 العدد01 يناير 2015، ص124
42.حبيب مونسي ،فعل القراءة ، النشأة والتحول، ص 53،54

المنارة للاستشارات

43.عبد الله الغذامي ،تشريح النص ،المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط02 2006 ،ص20
44.حبيب مونسي، فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى، ص 199
45.عبد الله بن سليمان العتيق، ذوق القراءة، موقع صيد الفوائد saaid.net
46.عبد السلام محمد رشيد، إيهاب مجيد محمود جراد، في مفهوم القراءة، مجلة الأستاذ، المجلد الأول،2014 ، العدد 210 جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية. ص01
47.حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول، ص 155
48.نفس المرجع، ص 155
49.نفس المرجع، ص 156
50.فاطمة البريكي قضية التلقي في النقد العربي القديم ، دار العالم العربي للنشر والتوزيع دبي، ط01 2006، ص 58
51.فولفغانغ ايزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب ترجمة حميد لحميداني /جيلالي الكدية، منشورات مكتبة المنهل مطبعة فاس 1995 .ص 76

المنارة للاستشارات